الإلحـــاد
ودوافع الانحـراف النفسي

Atheism

And the motives of psychological deviation

د. مهدي صالح المشهداني
وكيل رئيس الديوان للشؤون الادارية والمالية

د. احمد محمد علي المشهداني
قسم التخطيط - ديوان الوقف السني

أ. د. برزان ميسر حـامد الحميد
كلية التربية للعلوم الانسانية- جامعة الموصل

الملخص

لقد أصبح الحديث عن الإلحاد مادة متداولة بكثرة في وسائل الإعلام العربية التقليدية، ومنصات التواصل الاجتماعي المختلفة، إذ يتراوح الحديث عنها بين من يراها ظاهرة متفشية، ومن يراها حالات فردية تكثر في بعض المناطق وتقل في مناطق أخرى.

ونظراً لغياب أرقام دقيقة أو دراسات علمية فإنه من الصعب الحكم على مدى انتشار الإلحاد في العالم العربي الاسلامي المعاصر أو التنبؤ باتجاهاته المستقبلية بحسب الداعية الإسلامي المقيم في الولايات المتحدة الأمريكية محمد الحايك.

ولأهمية هذه الظاهرة وما تشكله من خطرٍ على الشباب العربي المسلم في بعض بلداننا الاسلامية، أرتأينا الوقوف عندها وتعريفها في اللغة والاصطلاح وما هي أهم الأسباب والدوافع النفسية المؤدية اليها، لتحقيق الاهداف المتوخاة من هذه الدراسة .

أهداف الدراسة: التعرف على مفهوم الالحاد والأسباب النفسية المؤدية الى اعتناقه .

أهمية الدراسة: الاستعلاء الإيماني والفكري على بهرجة الكفر والمعصية، إذ هو سمة من سمات الإسلام يضمن عدم الاستكانة والضعف والانهزامية أمام ضغوط الواقع ومظاهر الانبهار بثقافة الغير ولا سيما دول الغرب .

منهجية الدراسة :سنعتمد في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والذي يهتم بوصف الجوانب المتنوعة من أسباب ودوافع لأبعاد ظاهرة الالحاد .

الكلمات المفتاحية: الالحاد، الانحراف، دوافع، النفسي،، الظاهرة، مفهوم .

abstract

Talking about atheism has become a common material in the traditional Arab media and various social media platforms as talk about it ranges between those who see it as a widespread phenomenon and those who see it as individual cases that abound in some areas and less in others.

In the absence of accurate figures or scientific studies it is difficult to judge the extent of atheism in the contemporary Arab-Islamic world or to predict its future directions according to the Islamic preacher residing in the United States of America Muhammad al-Hayek.

Because of the importance of this phenomenon and the danger it poses to Arab and Muslim youth in some of our Islamic countries we decided to study it and define it in language and convention and what are the most important psychological causes and motives leading to it in order to achieve the objectives envisaged by this study.

Key words: Atheism Perversion Motives Psychological Phenomenon Understanding

المقدمة

الحمد لله الذي أغنانا بحلاله عن حرامه وكفانا بفضله عما سواه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبد إلا إياه ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن والاه وسلم تسليما كثير أما بعد :

ان عقيدة التوحيد هي أساس الإسلام وأساس الدين وهي أول ما أمر الله جل وعلا به عباده وبين سبحانه وتعالى إنما خلقهم لها قال جلّ في علاه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(الذاريات: ٥٦) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وبها أرسل الله الرسل وأنزل بها الكتب قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ))، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللهَّ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُّ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾، ولذلك كان كل رسول أول ما يخاطب قومه بقوله: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَّ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، فهم يبدؤون دعوتهم بالدعوة إلى التوحيد ولقد سار على نهجهم الدعاة المصلحون من علماء هذه الأمة فكانوا يدعون الناس إلى التوحيد ويبينونه للناس ويوضحونه ويدرسون الناس هذا التوحيد لأهميته وهو أول أركان الإسلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً.

وقد تصدّى لمحاربة الإسلام متصدّون كثيرون بوسائل مختلفة، بنظرياتهم وجدلياتهم وأقوالهم المزخرفة، التي تهاوت أمام نور الإسلام الذي كشف زيفهم وأكاذيبهم وأباطيلهم ،وظل الإسلام يسطع بنوره ويتحدى كل مخالف له، قال تعالى: « يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللهَّ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُّ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»[1]. والانحراف النفسي عن منهج الخُلُق القويم أحد أهم تلك الوسائل والدوافع التي تؤدي إلى الإلحاد والظلم إن لم نقل أخطرها، ذلك أن التسليم بالمفاهيم الباطلة من قبل الفكر السوي أمر يصعب الأخذ به مهما كانت الاهواء والشهوات، التي تأسر النفوس وتجعل بينها وبين العقل السليم غشاوة، وعندما يطول أمد هذه الغشاوة التي تحجب العقل في ممارسة عمله بشكل صحيح وسديد يتبلد الفكر، وتفسد طريقة البحث لديه.ومن اتباع الاهواء والشهوات تبدأ زاوية الانطلاق، فمن المعلوم أن النفوس تميل في أغلب الاحيان الى الأهواء والشهوات والاستمتاع باللذات العاجلة، وكذلك الى الحياة وزينتها وزخرفها ولو كان في ذلك شقاء أبدي بسخط الله، فالنفوس من اطباعها ان أنها تؤثر العاجلة، وتذر الآخرة، ما لم يكن هناك ما يضبطها من عقل سليم وراجح مقرون بإرادة حازمة وأيمان راسخ ودين قويم مهيمن على النفس ومتغلغل في القلب وأعماقه ووجدانه والمقرون بالخوف من الله تبارك وتعالى .

(١) سورة الصف، الاية: ٨ .

ولهذا تعتبر الشياطين ان الاهواء والشهوات كانت ولا زالت من الوسائل التي تستغلها لأغواء النفس البشرية، فتسّول لها للابتعاد عن منهج الله وتدعوها الى اتباع الطريق المعوّج، وهي لا تزال في قبضتها حتى تصبح اسلحة فتاكة تستخدمها متى شاءت، وتستدرج الإنسان عن طريق اغراقه في اهواءه وملذاته لتصل به في نهاية المطاف الى مرحلة الكفر والفسوق والعصيان، قال تعالى: ((فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهَّ إِنَّ اللهَّ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))، وقال تعالى:((بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَهْوَآءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُّ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ))، وقال تعالى: ((أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ)) .

وجاء بحثنا الموسوم: ((الإلحاد ودوافع الانحراف النفسي))، ليبحث في الانحراف النفسي وأسبابه الموصلة للإلحاد سيما وأن هذه الظاهرة قد شاعت وكثر انتشارها بالوقت الراهن في بعض دولنا العربية والاسلامية للأسف الشديد، وهذا ما دعانا الى اختياره للمشاركة في المؤتمر الدولي الموقر ضمن اعمال المحور الثاني ((التحديات العقدية والاديان))، واقتضت طبيعة البحث أن يقسم الى مقدمة ومبحثين، تناول المبحث الاول: تعريف الإلحاد في اللغة والاصطلاح وعلاقته بالظلم، في حين اختص المبحث الثاني بـــــ: الانحراف النفسي دوافعه وأسبابه،ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات وقائمة المصادر والمراجع،وبالرجوع الى مجموعة من المصادر الاولية المطبوعة والمراجع الثانوية، ومواقع على الشبكة الدولية(الانترنت).

❋ ❋ ❋

المبحث الأول: الإلحـاد

أولاً :- الإلحـــــاد في اللغة :

جاء معنى الالحاد في لسان العرب من الفعل: ((لحد، واللحَد في الدِّين من الفعل يلحد ومعناه الميل والعدول أي مال وعدل، وقيل لحد يلْحَد، أيْ: مال، وعدل، والملحد على حد تعبير ابن السكيت هو الشخص الذي عدل عن الحق، المدْخِل فيه ما ليس فيه، يقال: قد ألحْدَ في الدِّين، و(لحَدَ) أي: حاد عنه))[1].

وألحَدَ الرجل أي: ظلم في الحرم، وأصله: قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ.. ﴾[2].

قال ابن العربي: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ تكلم الناس في دخول الباء ههنا، فمنهم من قال: إنها زائدة، وهذا مما لا يُحتاج إليه في سبيل العربية، لأن حمل المعنى على الفعل أولى من حمله على الحرف. فيقال المعنى: ومن يهم فيه بميل يكون ذلك الميل ظلماً، لأن الإلحاد هو الميل في اللغة، إلاّ أنه قد صار في عرف الشريعة ميْلاً مذموماً، فرفع الله

(١) لسان العرب لأبن منظور، مادة (ل ح د) .
(٢) سورة الحج، جزء من الآية: ٢٥ .

الإشكال، وبيَّن أن الميل بالظلم هو المراد هنا[1].

وقيل: الإلحاد: الزيغ. ويلحدون: يحوِّرون[2].

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة»: ((مُلْحِدٌ في الحَرَمِ، ومُبْتَغٍ في الإسْلامِ سُنَّةَ الجاهِلِيَّةِ، ومُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بغيرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ.))[3].

قال ابن حجر: قوله: (أبغض) هو أفعل من البغض.

قال المهلب وغيره: «المراد بهؤلاء الثلاثة أنهم أبغض أهل المعاصي إلى الله، فهو كقوله: «أكبر الكبائر»، وإلاّ فالشرك أبغض إلى الله من جميع المعاصي»[4].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: الإلحاد في الحرم: ظلم الخادم فما فوق ذلك[5]

وقيل: أصل (الإلحاد) في كلام العرب: العدول عن القصد، والجور عنه، والإعراض، ثم يستعمل في كل معوَجٍّ غير مستقيم، ولذلك قيل لِلَحْد القبر لحد، لأنه في ناحية منه، وليس في وسطه[6].

(١) القتضي ابو بكر بن العربي: أحكام القرآن (٣/ ١٢٧٦)، تحقيق: على محمد البجاوي، دار المعرفة- بيروت.
(٢) انظر: كتاب الديات، من صحيح البخاري، باب من طلب دم امريء بغير حق، (٦/ ٢٥٢٣)رقم الحديث ٦٤٨٨.
(٣) انظر: كتاب الديات، من صحيح البخاري، باب من طلب دم امريء بغير حق، (٦/ ٢٥٢٣) رقم الحديث ٦٤٨٨ .
(٤) فتح الباري (١٢/ ٢١٠) .
(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، (٥/ ١٥١) .
(٦) انظر تفسير الطبري (١٣/ ٢٨٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[7]، أي: يميلون فيها عن طريق الحق ويسمونه - سبحانه - بغير ما ينبغي أن يُسمى به، قال مكي بن أبي طالب القيسي: وكان إلحادهم في أسماء الله أنهم عدلوا بها عمّا هي عليه، فسموا بها آلهتهم، وأوثانهم، وزادوا فيها، ونقصوا منها، فسموا بعضها (اللات) اشتقاقاً من (الله) و (العزى) من (العزيز)[8]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾[9]، أي: يطعنون في صحتها، أو يأولونها تأويلاً خاطئاً.

ثانياً :- الإلحاد في الاصطلاح:

هو مذهب فئة أنكرت وجود الله وما آمنت به، وهو صديق الجهل كما قيل: (الإلحاد صديق الجهل)؛ وهناك ملحدون لا يعترفون بإله لهذا الكون لأنهم لا يرونه، فهم لا يؤمنون بشيء غير محسوس!! رغم أن العقل البشري يعلم أن حواسنا قاصرة عن معرفة أو إثبات وجود كل شيء، ولهذا صحّ ما قال البعض عن الإلحاد: أنه عدم العلم ... لا العلم[10].

وبتعبير آخر هو عدم الاعتقاد أو الإيمان بوجود الآلهة، ويتناقض هذا الفكر مع فكرة الإيمان بالله أو الألوهية، إذ أنّ مصطلح الألوهية يعني الاعتقاد بأنه يوجد على الأقل إله واحد ... وقد

(٧) سورة الأعراف، الاية: ١٨٠.
(٨) ينظر كتابه: العمدة في غريب القرآن.
(٩) سورة فصلت، الاية: ٤٠ .
(١٠) عبد الرحمن الميداني الدمشقي، صراع مع الملاحدة حتى العظم،، ص ص ٣٦٥-٣٦٧ .

تبلور مصطلح الإلحاد عقب انتشار الفكر الحر والشكوكيّة العلميّة وتنامي نشاط التيارات الفكرية في نقد الأديان[١].

وبعد أن بينا معنى الإلحاد في اللغة والاصطلاح، نعود لنبين معنى (الكفر): فالكفر أصل معناها في اللغة: الستر والغطية الكاملة التامة، فمن غطى جسمه بالسلاح تغطية كاملة يقال له كافر، لأنه اتخذ السلاح وتستر به ستراً كاملاً، وكذلك الحال بالنسبة للفلاح أو الزارع الذي يلجأ الى دفن حبه (محصوله) في باطن الارض يقال له كافر، لأنه قد دفن حبه في باطن الارض فغطاه بالتراب تغطية كاملة[٢]، ومنه قوله تبارك وتعالى ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ..﴾[٣].

وكذلك يُطلق على الليل المظلم كافر ،ذلك لأنه بظلمته يغطي أو يستر كل شيء، ولذلك قيل كفر الليل الشيء بمعنى غطّاه، وللبحر كذلك يقال عنه كافر، ذلك لأنه ستر كل ما فيه، وهكذا فالكلمة في اللغة العربية تدور حول التغطية والستر[٤].

وفي الاصطلاح الديني: استعملت ذات الكلمة (الكفر)كي تدل على ما يقابل الإيمان، فالإيمان يعادله التصديق أو هو التصديق، وعكسه الكفر الذي يشير الى عدم التصديق، والايمان بالشيء يقابله الكفر بنقيضه، وبالتالي كل ايمان أو مؤمن بالعقيدة الإسلامية السليمة القويمة يقابلها كافر بنقيضها وبكل ما يستلزم هذا النقيض، ولهذا كل ايمان بالله تبارك وتعالى يقابله او يقتضي منه الكفر بالطاغوت بشكل حتمي[٥].

وفي ذلك يقول الباري عزوجل: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٦].

نخلص الى القول أنَّ المؤمن لا يمكن ان يكون كامل الايمان حتى يتم كفره أو يكفر بكل الطواغيت ويكرّس ايمانه بالله وحده، ولذلك فأن عبارة التوحيد قد تضمنت أو اشتملت على السلب والإيجاب (لا إله إلا الله)، وعلى الايمان بالله وحده تبارك وتعالى .

❋ ❋ ❋

المبحث الثاني: الانحراف النفسي دوافعه وأسبابه

إن خروج الانسان أو انحرافه عن المنهج الاخلاقي القويم لا بد وان يكون له مجموعة من الاسباب والدوافع،فعندما نقف لدراسة أوضاع الناس نلاحظ أن الكثير من أهل الضلالة لم يكونوا قد أصبحوا من الضألين بسبب جهلهم بالحقيقة التي يسببها عامل

(١) المرجع نفسه، ص ص ٣٦٥ – ٣٦٧ .
(٢) ابن منظور، لسان العرب، (٥/ ١٤٨) .
(٣) سورة الحديد، الاية: ٥٧ .
(٤) ابن منظور، لسان العرب، (٥/ ١٤٨) .
(٥) جعفر السبحاني، الايمان والكفر في الكتاب والسنة، ص ١-٢٤ .
(٦) سورة البقرة، الاية :٢.

من عوامل الانحراف الفكري عن المنهج الصحيح والسليم في التفكير،وإنما اجرموا أو بتعبير آخر أصبحوا من الضآلين بسبب بعدهم أو تهربهم من الحقيقة بكل وجوهها والمتضمنة أرضاء شهوات النفس البشرية وإشباع رغبة من رغباتها،وعندما يهرب الأنسان من مواجهة الحقيقة يسعى في البحث عما يتخذه مبدأً باطلاً لنفسه تحل في محلها، ثم يكدح كدحاً شديداً كي يقنع نفسه بسلامتها وصحتها، وبالتالي ضرورة اعتمادها والاخذ بها[١].

ومن الطبيعي ان لا يسلّم الفكر السليم السوي بكل مفهوم باطلٍ مهما تعرض الى الاغواء بالشهوات والأهواء بزينتها وزخرفتها، وكما سبقت الاشارة فأن سلطان الشهوات والأهواء يعمل على أسر النفوس ويضع بينها وبين العقل السليم القويم غشاوة وحاجب، وان طال امد هذا الحاجب وهذه الغشاوة التي تقف حاجزاً بين العقل وعمله الصحيح السديد اصبح الفكر بليداً وطريقة البحث لديه فاسدة[٢].

وفي أغلب الاحيان تميل النفوس أو الأنفس في الأهواء والشهوات إلى اغتنام اللذات السريعة والعاجلة، والى زخرف الحياة الدنيا وزينتها وتفاخرها حتى وان كان في ذلك شقاء وسخط من الله . فالنفوس بطبعها تميل أو توثر العاجلة في شهواتها ولذاتها وتذر الآخرة،ما لم يردعها أو يضبطها ضابط من العقل الصحيح والراجح، الذي يقترن بإرادة حازمة أو ضابط من ضوابط الايمان الراسخ بالله تبارك وتعالى ودين قويم مهيمن على النفس ومتغلل في القلب واعماقه ووجدانه ومقروءً بحب الله تبارك وتعالى والخوف منه[٣].

لذلك كانت الأهواء والشهوات واتباعها من ضمن الاسباب التي تؤدي الى الضلال وبالتالي تبعد الانسان عن الله عزوجل وعن صراطه المستقيم وهي في نهاية الامر تلقي به الى التهلكة، وهي من الاساليب أو الوسائل التي تعّول عليها الشياطين وتستغلها لأغواء النفس البشرية، فتزين لها وتوجهها من أجل ان تنحرف عن منهج الله وصراطه المستقيم، ولا تزال النفس البشرية في قبضتها حتى تسيطر عليها بشكل تدريجي وتحكم قبضتها وتتخذ منها اسلحة قوية وفتاكة تكون في ايديها.والشياطين تستدرج الانسان وتوقع به وتوصله الى الكفر عن طريق اغواءه بالاهواء والشهوات[٤]، وقد حذرنا الباري عزوجل من السير على غير هداه، فقال تبارك وتعالى في محكم التنزيل:﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَهْوَآءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾[٥]، كما خاطب نبينا محمد « صلى الله عليه وسلم «بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ

(١) عبد المجيد الصغير، المبادئ الأساسية، مركز دراسات التشريع الاسلامي والاخلاق الالكتروني .
(٢) الميداني، صراع مع الملاحدة حتى العظم، ص:٣٦٧ - ٣٦٨.
(٣) المرجع نفسه، ص ٣٦٨ .
(٤) امير المدري،المواعظ الأيمانية، موقع الكتاب الاسلامي الالكتروني .
(٥) سورة الروم، الاية :٣٠ .

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، وقال تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[2].

هذه الآيات المباركات يبين فيها الباري عزوجل، انّ اتباع الاهواء والشهوات تكون سبباً رئيسياً للوقوع في الظلم، والظالمون ضلّوا بسبب السير وراء الاهواء والشبهات فجاء حكم الله عليهم بأنهم ضآلون، وذلك حكم الله العادل فيهم. ومن يهدي فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، ولا ناصر من عقاب الله الاّ الله، ومن جاءه الحكم من خالقه بالضلال فمن يهديه ؟[3]. وقد حذرنا الله عزوجل تعالى من تدبير ومكائد الذين يتبعون اهواء وشهوات انفسهم، فقال تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً﴾[4]، بمعنى انهم يسعون أو يرغبون بأن تكونوا معهم منغمسين في اهواءهم وشهواتهم مسرفين على انفسهم .

والأنحراف النفسي له عدة عوامل ودوافع، تختلف من نفسٍ الى اخرى، ويمكن ان نوجزها في النقاط التالية:

أولاً: الكبــر

الكبر كثيراً ما يكون عامل مهم بل من اهم العوامل التي تصرف الانسان عن اتباع الحق والاستجابة له، وقد يبعثه الى الخروج عن دائرة الطاعة للباري عزوجل، فضلاً عن انه يكون سبباً أو عاملاً مهماً لتكوين مفاهيم ومعتقدات باطلة وعادات وتقاليد فاسدة غير صالحة، وهذا العامل كان سبباً رئيسياً لأبتعاد ابليس عن طاعة ربه ووقوعه في التمرد والعصيان[5]، وامتناع ابليس عن السجود لادم قصة معروفة وهي خير ما نستدل به على ذلك، قال الباري عزوجل في محكم التنزيل:

((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ))[6]، وعندما يستولي الكبر على ارادة صاحبه ويسّول له في نفسه ويغشي عليه عقله، ساقه الى الضلال وطمس الحق عليه وضيع معالمه وملامحه، وزين له الباطل وانتحل له حجج واهية ليس بمقدورها الوقوف امام الحق وقوته عند من يملكون عقول سليمة وراجحة[7].

ثانياً: الأنانية وإتباع الهوى

الأنانية هي حب الإنسان لنفسه وعشقه للسيطرة والتملك، وهي (الأنا) التي تجعل الإنسان لا يرى إلا نفسه ولا يهتم إلا بشخصه هو، وهي غريزة فطرية في كل إنسان إذا كانت في حدود معرفة مقدار الذات ووضعها في موضعها، أما إذا تجاوزت حدود الذات

(١) سورة القصص، الاية: ٢٨.
(٢) سورة محمد، الاية: ٤٧ .
(٣) امير المدري،المواعظ الأيمانية، موقع الكتاب الاسلامي الالكتروني .
(٤) سورة النساء، الاية :٤ .
(٥) نور الدين ابو لحية، الكون بين التوحيد والالحاد، ص ١٧٨ .
(٦) سورة البقرة ،٤الاية: ٣٤ .
(٧) مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دراسات اخلاقية، ص ٢٣٦ .

إلى الغرور والتكبر واحتقار الآخرين واستصغارهم وتسفيه آرائهم، والسعي إلى السيطرة عليهم فهنا مكمن الخطورة وأصل الداء[1].

لذا يمكننا القول انَّ الشخص الأناني لا يُحِبُ الاعتراف بالخطأ ويظن نفسه دائمُ الصواب وأنه من المعصومين عن الزلة والمعصية، وهو يجهل بأن الاعتراف بالخطأ دليلٌ على احترام عقول الناس، ولأن الأناني ليس لديه مُحرمات بل يُحلل لنفسِه كل شي ما دامت مصلحتهُ موجودة، والأنانية هي مرضٌ نفسي يحتاج للعلاج وهي أكبر سببٌ لأداء المُحرمات والأخطاء الشنيعة، والأنانية هي داءٌ مدّمر لصاحبه فالأناني لا يُحبُ أحداً مشاركتهُ أي شيء بل يُحبُ أن يرى،غيره،يشقى،وهو،يرتاح،ويُحب،مصلحته،فقط.

وهناك أسباب تدفع الإنسان إلى الأنانية واتباع الهوى، منها التربية الخاطئة من الأبوين للأبناء في الصغر وعدم توعيتهم على اجتناب الأحقاد والاستيلاء الفردي، وكذا حرمانهم وكثرة معاقبتهم على كل صغيرة وكبيرة، وكذا عدم العدل بين الأبناء وتفضيل ابن على آخر، ومن أسبابها كذلك الظروف الاقتصاديةالخانقة التي تجعل الفرد لا يهتم إلا بنفسه ولا يسعي إلا بما فيه، مصلحته[2].

ولكي نعالج هذا المرض العضال لابد من تكاتف جميع المجتمع من أسر وجماعات فالمجتمع والأسرة لهم دورٌ كبيرٌ في ذلك لأن المولود في الواقع يتأثر بالعوامل المحيطة به فيجب تعليمه وتعويده من صغره على عدم الأنانية وأن يحُب لغيره ما يحبه لنفسه، وأن يجاهد نفسه حتى يصل إلى درجة أن يؤثر غيره على نفسه[3]، قال تعالى في وصف المؤمنين الصادقين: ((وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[4].

ثالثاً: الحقد والحسد :

إن الحقد والحسد من أهم وأخطر هذه الصفات المذمومة في الاسلام، فالمسلم الحق لا يكون حقوداً ولا حسودا وإنما المفروض فيمن ينتسب لهذا الدين العظيم أن يكون نظيف القلب، يتمنى الخير والنفع لكل الناس كما يتمناه لنفسه ويكره لهم الشر والضرر كما يكره ذلك لنفسه تماماً[5].

فعندما يمتلئ قلب الإنسان حقداً وحسداً، فإنه يضر نفسه بذلك أولا قبل أن يضر غيره، لأن السعادة والراحة لا تعرف إلى قلب الحقود سبيلا. وكيف يرتاح وقلبه يغلي دائما من كثرة الشر والعياذ بالله. بل إن ما يحمله الحقود الحسود من شر في قلبه، قد يحرمه حتى من لذة النوم!

(١) المرجع نفسه، ص ٣٣٨ .
(٢) مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دراسات اخلاقية، ص ٣٤٠ .
(٣) ينظر: الميداني: صراع مع الملاحدة حتى العظم ص: ٣٧١ - ٣٧٢.
(٤) سورة الحشر، الاية: ٩ .
(٥) السباعي حماد، مقال عن الحسد والحقد، موقع صدى البلد الالكتروني، ٢٠١٩ .

لنصغ جيدا إلى هذه الكلمات من كتاب الله تعالى والتي يتحدث فيها جل شأنه عن حال أصحاب،الجنة،قائلا:وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)) ((١)) .

لقد أخبر تعالى في هذه الآية أنه سينزع ما في قلوب أهل الجنة من غل، لتبقى قلوبهم صافية طاهرة. لأنه وعدهم بالسعادة التامة، ولأن السعادة لا تتم مع وجود الحقد والغل في القلب، فإن الله تعالى سيطهر قلوب أحبابه في الجنة من الحقد والغل والحسد ومن كل الأمراض التي لا تحصل السعادة والراحة مع وجودها. ومما يستفاد من الآية الكريمة كذلك، أن طهارة القلب من الحقد والحسد صفة من صفات أهل الجنة وأن التوفيق لذلك من علامات الخير(٢).

فهنيئا، لمن، طهرت، قلوبهم.

إن فضل طهارة القلب عظيم في الإسلام وإن العبد ليبلغ بطهارة قلبه من كمال الإيمان ما لا يبلغه بسبب آخر من الأسباب، ففي الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أيُّ الناس أفضل؟ فقال: «كلُّ مخمومِ القلب، صدوقِ اللسان ((قالوا: صدوقُ اللسانِ نعرفه، فما مخمومُ القلب؟ فقال – صلى الله عليه وسلم –: «هو التَّقيّ النَّقيّ، لا إثمَ، فيه، ولا، بَغْي، ولا، غِلّ، ولا، حَسَد))(٣).

نعم، إن أصحاب القلوب النقية التي لا تحمل حقدا ولا بغيا ولا حسدا هم أفضل الناس على الإطلاق كما بين النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي حديث آخر يقول صاحب أنقى وأطهر قلب على وجه الأرض صلوات الله وسلامه عليه: ((إِنَّ الله لا يَنْظُرُ إِلى أَجْسامِكُم، وَلا إِلى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))(٤).

فالمعيار عند الله هو القلب وليس الشكل والمظهر. ومادام القلب هو محل نظر الله تعالى، فليسأل كل واحد منا نفسه: ماذا يحمل في قلبه للآخرين؟ وإن كان الناس لا يرون ذلك، فإن الله تعالى مطلع على كل الخفايا عالم بكل السرائر. يقول جل شأنه:(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)(٥).

وليس الأمر مقصوراً على العلم وحده، بل إن الجزاء والحساب في الآخرة أيضا معلق على حال القب، إذ سيجازي الله العباد بناء على ما في قلوبهم. ولن يفوز يوم القيامة إلا من أتى الله بقلب سليم(٦). يقول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام))وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ))(٧).

❊ ❊ ❊

(١) سورة الحجر، الاية: ٤٧ .
(٢) عبد الحق حميش، طهارة القلب وأثرها على الفرد والمجتمع، موقع الخبر الالكتروني، ٢٠١٦ .
(٣) سنن ابن ماجة،كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، (٢/ ٥٥٣)، رقم الحديث ٤٢١٥ .
(٤) رواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث ٦٧٠٨ .
(٥) سورة غافر، الاية: ١٩ .
(٦) عبد الحق حميش، طهارة القلب وأثرها على الفرد والمجتمع، موقع الخبر الالكتروني .
(٧) سورة الشعراء، الايات: ٨٧-٨٩ .

الخاتـمة

بعد انتهاء جولتنا في بحثنا هذا توصلنا الى أهم النتائج الآتية :

- إنّ الالحاد هو الميل عن القصد والعدول عن الشيء،والعرب قديماً أطلقت صفة الالحاد على كل من أظهر البدعة حتى وإن كان مؤمناً بالله ورسوله .

- يُعد الانحراف النفسي عن منهج الخُلُق القويم أحد أهم الوسائل والدوافع التي تؤدي إلى الإلحاد والظلم إن لم نقل أخطرها .

- لا يمكن للفكر السوي أن يسلم بالمفاهيم الباطلة فهو أمر يصعب الأخذ به مهما كانت الاهواء والشهوات، التي تأسر النفوس وتجعل بينها وبين العقل السليم غشاوة، وعندما يطول أمد هذه الغشاوة التي تحجب العقل عن ممارسة عمله بشكل صحيح وسديد يتبلد الفكر، وتفسد طريقة البحث لديه .

- تعد الاهواء والشهوات من الوسائل التي كانت ولا زالت تستغلها الشياطين ومن على شاكلتهم من شياطين الأنس الذين يتبعون أهواءهم، لأغواء النفس البشرية، فتسّول لها للابتعاد عن منهج الله وتدعوها الى اتباع الطريق المعوّج غير السوي .

- في الأهواء والشهوات تميل النفوس البشرية في أغلب الاحيان إلى اغتنام اللذات السريعة والعاجلة، والى زخرف الحياة الدنيا وزينتها وتفاخرها حتى وان كان في ذلك شقاء وسخط من الله، فالنفوس بطبعها تميل أو توثر العاجلة في شهواتها ولذاتها وتذر الآخرة،ما لم يردعها أو يضبطها ضابط من العقل الصحيح والراجح، الذي يقترن بإرادة حازمة أو ضابط من ضوابط الايمان الراسخ بالله تبارك وتعالى .

❊ ❊ ❊

قائمة المصادر والمراجع

أولاً :- القران الكريم .

ثانياً: - المصادر والمراجع الاخرى :

١. صراع مع الملاحدة حتى العظم: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ): دار القلم، دمشق ،الطبعة: الخامسة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢. غريب الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد ،الطبعة: الأولى، ١٣٩٧.

٣. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر - بيروت،الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٤. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

٥. القتضي ابو بكر بن العربي: أحكام القرآن (٣/ ١٢٧٦)، تحقيق: على محمد البجاوي، دار

المعرفة- بيروت.

٦. صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، بيروت- لبنان، دار ابن كثير، ١٩٩٤ .

٧. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د، ت .

٨. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد الربعي القزويني،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،بيروت- لبنان، دار احياء الكتب العربية، ٢٠٠٩ .

٩. معجم ألفاظ القرآن، مجمع اللغة العربية،د،م، د، ت .

١٠. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

١١. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

١٣. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت،الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ه .

١٤. عبد المجيد الصغير، المبادئ الأساسية ،مركز دراسات التشريع الاسلامي والاخلاق الالكتروني .

١٥. جعفر السبحاني، الايمان والكفر في الكتاب والسنة، د،م، د، ت .

١٦. عبد الحق حميش،طهارة القلب وأثرها على الفرد والمجتمع،موقع الخبر الالكتروني،٢٠١٦ .

١٧. السباعي حماد، مقال عن الحسد والحقد، موقع صدى البلد الالكتروني، ٢٠١٩ .

١٨. امير المدري،المواعظ الأيمانية، موقع الكتاب الاسلامي الالكتروني .